الملك عبد العزيز

ليس من اليسير أن أتحدث عن والدي « كملك » لأن ذلك من حق التاريخ وحده ٠ وربما كان غيري أقدر مني على انصاف رجل عظيم مثله ، بنى ملكا بعصاميته ، وحفظ للعرب تراثا مجيدا في البلاد المقدسة ، وأقام الأمن والنظام في بقاع كانت تسودها الفوضى ويهددها الخوف في طرقها وأرجائها وتتالف

هذا وقد تفضل صاحب الجلالة الملك فيصل • فاذن لنا ان نتوج العدد الاول من هذه المجلة برائعة من كلامه عن أبيه • حيث ترك لي الخيار في ذلك • فوفقت الى اختيار الكلمة التي نشرها الاستاذ العلامة المؤرخ خير الدين الزركلي في مؤلفه • (١)

فما اروعها كلمة لخصت تاريخا وسيرة لبطل عظيم فان الانسان يعزو الايمان وشموخ العنان وطموح السنان الذى حقق لأمة العرب وحدة جزيرتهم تمهيدا قد على منبر برهانه النور في هذه الارض المقدسة والصحارى الخيرة والقبائل المؤمنة ويرحم الله حسان بن ثابت شاعر الرسول العظيم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام اذ يقول : كأنه يفصلها على مقاس العاهل العظيم فيصل ابن عبد العزيز •

نبى اصيل في الكرام ومذودى   تكوى مواسمه جنوب المصطلى
ولقد تقلدنا العشيرة امرها   ونسود يوم النائبات ونعتلى
ويسود سيدنا جحاجح سادة   ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الامر المهم خطابه   فيهم ونفصل كل امر معضل
وتزور ابواب الملوك ركابنا   ومتى تحكم في البرية نعدل
وفتى يحب الحمد يجعل ماله   من دون والده ، وان لم يسأل

---

(١) الجزء الأول من شبه الجزيرة العربية للاستاذ خير الدين الزركلي الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ / ١٩٤٨ م ببيروت • نشر هذا الحديث عام ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م •

كما يصفه ابنه «فيصل»

من مقاطعات وامارات وقبائل شتى في مساحات واسعة •

غير أنني أستطيع أن أذكر بعض مزاياه التي هيأت له أن يبني هذا الملك ، وأن يشيد هذا الملك والسلطان ، على الرغم مما صادفه من شدائد وأهوال لم تثنه عن الوصول الى غايته ، ولم تصرفه عن تحقيق أهدافه •

وأولى هذه المزايا التي يتصف بها والذي قوة الايمان ، فما رأيته منذ نشأت قد ضعف ايمانه بالله أو تخلى عن ثقته بنصر الله . ولقد أصيب في عنفوان صباه بضياع امارة أبيه عبد الرحمن الفيصل ، على الرياض ، وسقوطها في أيدى منافسيه آل رشيد. فرحل مع والده وأهله الى الكويت ، ونزلوا ضيوفا على شيخها . وانضموا اليه في محاربته لابن رشيد . وعلى الرغم من هزيمتهم في عدة معارك فانه ما كاد يستعيد جيش أبيه الصغير في ذلك الحين ، حتى هب لاستعادة بلاده ، تحدوه قوة ايمانه ، وقد صمم على الموت أو الفوز بالرياض ، حتى أعادها وأعاد اليها مجد آبائه .

وثانية هذه المزايا التي يتسم بها جلالته ، قوة ارادته ، وشجاعته التي تبرز في أحرج المواقف وأدق الظروف . واذكر على سبيل المثال أنه كان في موقعه تدعى « موقعة الحريق » فدارت الدائرة أثناء القتال ، على جيشه ، وهم الجنود بالفرار ، فبرز في مقدمة الصفوف ممتطيا جواده ومتقلدا سيفه ، ونادى : « أيها الاخوان ! من كان يحب عبد العزيز فليتقدم ، ومن كان يؤثر الراحة والعافية فليذهب الى أهله ، فوالله لن ابرح هذا المكان حتى أبلغ النصر او أموت » .. فسرت الحماسة والحمية في نفوس الجند ، وعادوا فشدوا على أعدائهم وكان لهم الفوز .

وحدث أن قبائل العجمان بالأحساء ، أرادوا أن يستقلوا باعمالهم ويتصرفوا وحدهم في منطقتهم ، فابى ذلك عليهم ، وزحف بجيشه فوقعت بينه وبينهم عدة معارك .

وكاد في النهاية ان يخسر المعركة . وقد اطلق احدهم عليه في أثنائها رصاصة أصابته في حزامه المملوء بالرصاص ، حول وسطه ، فانفجرت أربع رصاصات منها ، وشقت بطنه شقا تدلت منه امعاؤه . فاسرع الى ربطها بحزام آخر ، وعاد الى ميدان المعركة . وكان الجند قد ضعفت عزيمتهم ، وتزعزعت شجاعتهم لما أصاب قائدهم ، فوقف جلالته وقال لهم : أيها الاخوان ! لو انني بقيت وحدي دونكم فلن اتقهقر . وقد عزمت على ان أدفن هنا أو أبلغ النصر . فمن شاء ان يبقى معي فليعمل مشكورا ، ومن شاء أن يعود فليرجع الى أهله غير ماسوف عليه .. فاجابه الجند : نحن معك ياعبد العزيز حتى الشهادة . وكان الفوز لهم في النهاية ودارت الدائرة على القبائل .

وثالثة هذه المزايا حكمته وأناته في معالجته لأمور دولته • وهو يتوخى حل المشاكل بالسلم أولا • كما أنه متسامح مع خصومه واسع الصدر ، لا يدخر وسعا في استخدام المرونة ووسائل اللين ، ولا يلجأ الى الشدة حتى يستنفد هذه الوسائل •

وأذكر أنه لما وقع الخلاف بينه وبين الامام يحيى امام اليمن السابق ، لم يتعجل الشدة ، وجعل يحاول حل ما وقع بينهما من خلاف باللين والحلم • حتى كدنا نحن أبناءه ورجال دولته ان نرميه بالضعف • فلم يعبأ بنا ، وسار في طريقه الى الخد الذي لا ملام عنده للائم • ثم اضطر الى السيف اضطرارا •• وعندما توسط سادة من العرب بين الملكين كان سريعا الى الكف عن القتال

وقد تم بفضل سياسة الحكمة والحزم التي يسير عليها في ادارة بلاده الواسعة ، اقرار الامن فيها على منوال غير معروف في أكثر البلاد حضارة ومدنية • فاطمأن الناس على أرواحهم وأموالهم حتى ندر وقوع الحوادث العادية • والفضل في ذلك الى يقظته الزائدة وأخذه المجرمين بالشدة •

وأما جلالته كاب ، فأستطيع ان أقول : ان كل فرد في شعبه يعتبره أبا له • لما عرف عنه من عنايته بأبناء رعيته وعطفه الكبير وحنانه الواسع •

ان والدى في تربيته لنا ، يجمع بين الرحمة والشدة ، ولا يفرق بيننا وبين أبناء شعبه • وليس للعدالة ميزانان يزن باحدهما لأبنائه ، ويزن بالآخر لأبناء الشعب • فالكل سواء عنده

والكل أبناؤه . وأذكر أن احد اخوتي الأطفال اعتدى على طفل آخر ، فما كان منجلالته الا ان عاقبه ولم يشفع له انه ابنالملك.

وليس لشفقة والدي وحنانه على أبنائه واحفاده حدود . بل يغمرهم بعطفه في كل آن . وهو يحب أن يراهم يوميا ، وخاصة صغارهم . فيجتمعون بعد مغرب كل يوم في قصره ، ويجلس اليهم فيلاطفهم واحدا واحدا . ويقدم اليهم الهدايا والحلوى ..

ويحب جلالته المباسطة على المائدة خلال تناول الطعام . ويمازح أبناءه وجلساءه ويحادثهم أحاديث طلية لا أثر للكلفة فيها ، ويعاملهم معاملة الصديق للصديق .

ويحب جلالته الانتفاع بالعلوم الحديثة . ويرى ان ناخذ من المدنية أفضل ما فيها ، ونترك مساويها .

وجلالته متفائل اليوم بالتعاون القائم بين رؤساء الدول العربية وقادتها وشعوبها ، ويرى أن جامعة الدول العربية خير وسيلة في العصر الحديث لجمع كلمة العرب والدفاع عن حقوقهم وتضامنهم في كل ما يعرض من مشاكل .

اما قضية فلسطين ، فهو متفق مع ملوك العرب ورؤسائهم ، في آرائهم وأهدافهم بشأنها . ومن رأيه أن مشاكل البلاد العربية الأخرى كالجزائر وتونس ومراكش وغيرها ، ينبغي أن تحل ، وأن تنال هذه البلاد حريتها واستقلالها . غير أن معالجتها لاتكون جملة بل تكون على مراحل . والزمن كفيل بتحقيق الأماني ..